الاسبوع الاول / المحاضرة الاولى

المقدمة :

إن حقوق الإنسان والديمقراطية والحريات العامة من المفاهيم الأساسية التي انتشرت بين الشعوب وازداد الحديث عن هذه المصطلحات إذ تمثل حقوق الإنسان مجموعة من المعايير الأساسية التي لا يمكن للناس أن يعيشوا بكرامة دونها، ومن خلالها يمكن تطوير صفاتنا البشرية وذكائنا ومواهبنا ووعينا وحاجاتنا الروحية واستخدامها من أجل حياة تضمن الاحترام والحماية والكرامة المتأصلة والقيمة الذاتية للإنسان. وقد أصبح موضوعها اليوم يحتل أهمية بالغة في الجهود الدولية حتى أنه أخذ يشكل عامل ضغط على الدول التي تنتهك الحقوق من أجل تغيير سياساتها، وان العمل على دراسة وتشخيص واقع الانسان من المؤشرات المهمة التي تحفظ كرامة الإنسان، وهنالك جدل كثير في فهمها وتفسيرها من حيث مضمونها وطبيعتها لذلك جاءت الضرورة والأهمية للكتابة في تلك المواضيع .

وفي الآونة الأخيرة أصبحت هذه المفردات مادة أساس تدرس في جميع الجامعات ونهدف هنا إلى وضع تعريف شامل ومركز بحقوق الإنسان ابتداءً من جذور نشأتها والتطورات التي شهدتها هذه الحقوق عبر العصور والمجتمعات البشرية فضلاً عن أسهام الشريعة الإسلامية والأديان والحضارات في رفدها بالقيم والمثل في تاريخنا المعاصر . كما نتناول الاعتراف الدولي بحقوق الإنسان من قبل المنظمات الدولية وفي مقدمتها الأمم المتحدة ، ثم ظهور المنظمات غير الحكومية المعنية بحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني وأهداف تلك المنظمات ووسائل عملها ودورها في تطور واحترام وحماية حقوق الإنسان .

مفهوم وخصائص حقوق الإنسان والجذور التاريخية

الحق في اللغة : هو الثبات وهو نقيض الباطل ، وهو اسم من أسماء الله الحسنى .

الحق في المصطلح : هو سلطة إرادية للفرد ، أو هو مصلحة يحميها القانون أو هو انتماء لشخص ما يحميه القانون .

وقبل الدخول إلى مفهوم حقوق الإنسان وجب التطرق إلى بعض المصطلحات المهمة مثل :

القانون بمعناه العام : هو مجموعة من القواعد الملزمة التي تنظم سلوك الأشخاص وحياتهم ونشاطهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض وتقره السلطة التشريعية في البلاد ، أما بمعناه الخاص فهو مجموعة من القواعد التي تنظم ناحية معينة من حياة الأشخاص ونشاطهم كقانون العمل وقانون البناء وقانون التقاعد ... الخ .

أما القانون الطبيعي: فهو القانون المستمد من الطبيعة والذي يفر ض نفسه على المجتمع البشري عند فقدان القانون الوضعي وهذا القانون غير مكتوب ويدور حول فكرتي العدل والخير العام .

أما القانون الوضعي: فهو القانون الذي تضعه سلطة ما ، وهو على قسمين(الحقوق الدولية والحقوق الداخلية) أي محلي وعالمي .

الحقوق الطبيعية : وهي حقوق لا سبيل إلى انتزاعها من الإنسان لأنه يولد متمتعا بها كحقه بالحياة وحقه في الحرية وحقه في اكتساب السعادة وحقه في تغيير الحكومات التي تحول دون تمتعه بهذه الحقوق .

مفهوم وتعريف حقوق الإنسان

هي المعايير الأساسية التي لا يمكن للإنسان أن يعيشوا بكرامة باعتبارهم بشراً من دونها وان حقوق الإنسان هي أساس الحرية والعدالة والمساواة وان من شان هذه الحقوق واحترامها إتاحة إمكانية تنمية الفرد والمجتمع تنمية كاملة ، وتمتد جذور تنمية حقوق الإنسان في الصراع من اجل الحرية والمساواة في كل مكان في العالم ويوجد الأساس الذي تقوم عليه حقوق الإنسان مثل احترام حياة الإنسان وكرامته في اغلب الديانات والفلسفات . ويمكن ان نورد أهم التعريفات التي تتأولت موضوع حقوق الانسان وكما هو آتي :

عرفها الأستاذ رينيه كاسان بأنها : فرع خاص من فروع العلوم الاجتماعية، يختص بدراسة العلاقات بين الناس، استناداً الى كرامة الانسان، بتحديد الحقوق والرخصة الضرورية لازدهار كل كائن إنسان .

أما الفرنسي ايف ماديو فقد قال بأنها : الحقوق الشخصية المعترف بها وطنياً ودولياً والتي في ظل حضارة معينة، تضمن الجمع بين تأكيد الكرامة الانسانية وحمايتها من جهة، والمحافظة على النظام العام من جهة أخرى .

بينما عرف الدكتور جابر الرأوي بأنها : الحقوق التي تهدف الى ضمان وحماية معنى الإنسانية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

خصائص حقوق الإنسان

يمكن إدراج أهم الخصائص التي تتسم بها حقوق الإنسان وإجمالها بما يأتي :

1-حقوق الإنسان لا تشترى ولا تكتسب ولا تورث ، فهي ببساطة ملك الناس كلهم لأنهم بشر بمعنى أدق إن حقوق الإنسان **(متأصلة)** في كل فرد .

2-حقوق الإنسان واحدة لجميع البشر بغض النظر عن العنصر أو الجنس أو الدين أو الرأي السياسي أو الرأي الأخر أو الأصل.

الوطني أو الاجتماعي ، إذ أن الناس قد ولدو أحراً جميعهم ومتساوين في الكرامة والحقوق ، بمعنى أدق إن حقوق الإنسان **(عالمية)** لكل الناس .

3-حقوق الإنسان لا يمكن انتزاعها ، فليس من حق احد أن يحرم شخصاً أخر من حقه حتى لو لم تعترف بها قوانين بلده أو عندما تنتهكها تلك القوانين فحقوق الإنسان ثابتة أي **(غير قابلة للتصرف أو التجزئة)** .

4-لكي يعيش الناس بكرامة فانه يحق لهم أن يتمتعوا بالحرية والأمن وبمستويات معيشية لائقة بهم ، أي إن حقوق الإنسان **(غير قابلة للتصرف أو التجزئة)** .

٥- إن حقوق الإنسان في حالة تطور مستمر، وكما أنها مرتبطة بالإنسان بصفة إنسانا، مما يستوجب الى تطوير الحقوق والواجبات .

الجذور التاريخية

إن التاريخ حلقات موصلة يكمل بعضها بعضاً فالماضي وسيلة لفهم الحاضر كما أن الحاضر يعيش فيه الماضي وكلاهما يرسمان ملامح المستقبل وموضوع حقوق الإنسان ليس وليد العصر وإنما هو قديم قدم الإنسانية نفسها ويشكل جزءاً لا يتجزأ من تاريخها ، فهو قد ارتبط بالمجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة وتأثر سلباً وإيجاباً بالظروف الزمنية والمكانية لتلك المجتمعات والتيارات الفكرية والتقاليد السائدة فيها وكما ارتبط بالشرائع الإلهية وآخرها الشريعة الإسلامية

لذا وجب علينا التعرف على تاريخ حقوق الإنسان وفهم مراحل تطورها ولنستعيد ثقتنا بديننا وأنفسنا ، فالإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان على أكمل وجه وصورة وأوسع نطاق وهذه المبادئ طالما صدرناها إلى الناس وألان يعاد تصديرها إلينا على أنها من الغرب .

إن تاريخ حقوق الإنسان مر بثلاث مراحل أساسية هي :

المرحلة الأولى :- حقوق الإنسان في الحضارات والمجتمعات القديمة ، وتبدأ هذه المرحلة من بدء الخليقة إلى القرن الخامس الميلادي أي بسقوط الإمبراطورية الرومانية .

المرحلة الثانية :- حقوق الإنسان في العصور الوسطى وتبدأ من ظهور الإسلام في القرن الخامس الميلادي وتنتهي بالقرن الخامس عشر الميلادي تقريباً .

المرحلة الثالثة :- حقوق الإنسان في العصر الحديث وتبدأ من القرن الخامس عشر الميلادي

على أن هذه المراحل لم تكن منفصلة عن بعض ولا توجد فواصل زمنية محددة بينها ، فحقوق الإنسان لم تنتقل من مرحلة إلى أخرى دفعة واحدة وإنما على شكل مراحل .

المرحلة الأولى : حقوق الإنسان في الحضارات والمجتمعات القديمة

لم يعش الإنسان القديم بحسب ما تمليه عليه غرائزه كما يصوره الكثير من الباحثين ، لان البشرية لم تخلق في الأرض لتعيش حياة الفوضى بل إن المجتمع البشري الأول قد سار مدة طويلة محفوفاً بالعناية الإلهية والرعاية الربانية وهذا لا يعني انه

لم تقم مجتمعات على الصورة التي صورها الباحثون في التاريخ البشري لكنها تفتقر إلى الجانب الديني .

حقوق الإنسان في بعض الحضارات القديمة

أولاً : حقوق الإنسان في حضارات بلاد وادي الرافدين ووادي النيل

1-: حضارة بلاد وادي الرافدين

إن الحقب التاريخية التي مرت على العراق القديم هي العهد السومري والأكدي والبابلي والآشوري ثم البابلي الثاني وقد شهدت تطوراً كبيراً في التمدن الإنساني وان حضارة بلاد وادي الرافدين أي (العراق القديم) هي أقدم حضارة في العالم من خلال تاريخه في جوانبه المختلفة الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي . ويذكر العلماء أن أول وثيقة لحقوق الإنسان سومرية .

الذي يهمنا هو الجانب الاجتماعي فقد انشأ أكثر القوانين لإعطاء الإنسان حقوقه والتعريف بواجباته فالحرية والعدالة والمساواة كانت من الأفكار الأساسية التي تجسدت في كثير من القوانين منها : قانون (أور- نمو وقانون لبت - عشتار وقانون اشنونا وقانون حمورابي والقوانين الآشورية) ولا ننكر أن هناك طبقية في المجتمع العراقي القديم وهي طبقة الأحرار وطبقة العبيد والطبقة الوسطى . وان التمييز بين طبقتين فقط هما طبقة الأحرار والعبيد ويلاحظ سعي الحكام آنذاك إلى إعطاء المزيد من الحماية لطبقة العبيد ولتخليصها من العبودية . كما كان للمرأة في العصر العراقي القديم الحق في ممارسة أعمال ومهن مختلفة والقيام بواجبات ضمنها لها المجتمع والقانون .

وتعد شريعة حمورابي العاهل البابلي التي أصدرها في السنة الثلاثين من حكمه والتي اهتمت بحقوق الإنسان بعد إعادته توحيد وادي الرافدين بدولة واحدة . وقد استند حمورابي في شريعته إلى ما كان سائداً من أعراف وقوانين سابقة لزمانه إلا انه جمعها وعدلها ونقاها لتلاءم مجتمع الدولة الجديدة الواسعة الأرجاء ، ثم دون مواد شريعته على عدد من المسلات الحجرية ورقم الطين ووزعها على أمهات مدن العراق القديم . وبهذا يكون قدماء العراقيين قد سبقوا غيرهم من الشعوب بحوالي ألف سنة في وضع الإصلاحات والقوانين التي تحفظ للفرد حريته وحقوقه وأمنه .

٢- الحضارة المصرية (حضارة وادي النيل)

أن حضارة وادي النيل مرت عليها دول لها نظم حكم مختلفة، كانت مصر خلالها مع العدل مرة وعانت من الظلم والاستبداد مرات، فقد خضعت مصر لحكام الفراعنة والهكسوس والرومان .

ففي عهد الفراعنة مرت مصر بثلاث مراحل .

- المرحلة الاولى مرحلة الدولة الفرعونية القديمة تقوم على فكرة إلوهية الملك الذي يلقب بالفرعون ويعد سيد الارض ومن عليها، فليس من حق الشعب المشاركة في الحكم وإنما على الجميع السمع والطاعة .
- المرحلة الثانية تحققت العدالة نوعاً ما

- المرحلة الثالثة عاد الظلم في حكم الشعب ولقب الحاكم بالفرعون وأصبح ملكه مطلقاً واجتمعت في يده كل السلطات الدينية والزمنية أي ادعى هو نفسه اله فقال كما أورد القران الكريم مقولتهُ ((فقال أنا ربكُمُ الأعلى)) وقد أورد القران الكريم العديد من الآيات القرآنية التي تدل على طغيان الحكام في تلك الفترة وفسادهم ومن ذلك قوله تعالى ((إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يذُبحُ أبنائهم ويستحي نساءهم إنهُ كان من المفسدين))

اما في عهد الهكسوس، فقد تعرضت مصر لغزوا الهكسوس في نهاية الدولة الفرعونية الوسطى، وحكموها لمدة تصل الى مائة عام أو يزيد وفيها قصة سيدنا يوسف(عليه السلام) وكان المجتمع المصري ينقسم الى ثلاث طبقات وهي طبقة الحكام وطبقة الفقراء وطبقة الرقيق. ان دخول سيدنا يوسف (عليه السلام) السجن ظلما دليل على مدى الظلم وتعامل الهكسوس مع المصريين بالعنف والقسوة .

وخعت مصر لحكم اليونان منذ دخول الاسكندر المقدوني لها وقد أقاموا حكمهم على أساس التفرقة العنصرية، إذ اعتبروا أنفسهم الجنس الممتاز. وبعدها تمكن حكام الرومان من فرض سيطرتهم على مصر بعد انتصارهم على الإغريق وقد سار الرومان على سياسة التميز العنصري جاعلين المصريين أبناء البلاد في الطبقة الأخيرة.

ثانياً : حقوق الإنسان في بعض الحضارات القديمة الاخرى

إلى جانب حضارات وادي الرافدين ووادي النيل تعتبر الحضارات الشرقية كالصينية والهندية من الحضارات التي اهتمت بحقوق الإنسان والعلاقات الإنسانية إذ جعلت هذه الحضارات ارتباطاً وثيقاً بين التعاليم الدينية والنظرة إلى الإنسان وحقوقه .

فالهندوسية التي ظهرت في الفترة ما بين (١٥٠٠ – ١٣٠٠) قبل الميلاد وانتشرت من الهند إلى مناطق ومجتمعات جنوب شرق آسيا واستندت في قوانينها الخاصة بحقوق الإنسان إلى بعض النصوص المقدسة الخاصة بها وهي النصوص التي نسبت إلى براهما (الإله الهندوسي) أو إلى أعماله وبخاصة تلك المرتبطة بالخلق .

ومن الهند انطلق بوذا (٥٦٠ – ٤٨٠) قبل الميلاد الذي لم يدعِ ديناً وإنما حلولاً عملية للحياة وانتشرت تعاليمه في الصين واليابان وجنوب شرق آسيا ، فقد جاء في تعاليمه الكثير من المبادئ ومنها المساواة والحرية ونشر العدالة ويرى بوذا أن لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسول وكذلك لا فرق بين روحهما .

أما في الصين فقد تجلت حكمة كونفوشيوس (٥٥٠ – ٤٧٩) قبل الميلاد في نشر العدل والإخاء العالمي والأمن والسلام بين الناس . وشدد هذا الفيلسوف الصيني في تعاليمه على خدنة الإنسان للإنسان أي كان ورأى أن الظلم هو رذيلة الرذائل .

وأسهم كل من الفكر اليوناني والفكر الروماني في ميدان حقوق الإنسان بما قدمه مفكرو الحضارات اليونانية والرومانية ومن إسهامات كبيرة في هذا المجال .

ففي التقاليد الإغريقية فان التأكيد على العدالة واحترام القانون تعبير عن مدى صلاحية المجتمع ومقياس لفضائله وكان يرى حكمائهم ان أول ما تعنى به حكومة الجمهورية هو أن تكمل السعادة للمحكومين وان تهبهم الصحة والرضا ، كما اعتبروا أن ليس للاجتماع المدني من قاعدة سوى العدل وان أي دولة لا تعرف أن تقوم به هي دولة فاسدة مؤذنة بالانهيار . كما أكدوا على أن المثل العليا للدولة هي سيادة أحكام القانون والعدالة والتعليم وان الدولة إنما وجدت لصالح الإنسان ولم يوجد الإنسان لصالح الدولة ، إذ ما ولد الإنسان إلا ليسعد .

وتعد الحرية عند الرومان رخصة طبيعية تستمد وجودها من قانون أعلى وأسمى من القانون الوضعي ، وكانت أفكار علماءهم التي جعلوا منها أساساً لبناء نظام سياسي دليل على احترام الإرادة الشعبية وحقوق الإنسان.

وهنا نود التنويه إلى انه لا يعني أن ما ذكر يدل على أن هذه الحضارات كانت هي القائمة فقط بل إن تاريخ الأرض ملئ بالحضارات ولكن لقلة الأبحاث فيها وعن هذه الحضارات هو الذي يحول دون ذكرها بشكل معمق . إذ هناك حضارات كانت قائمة وأنشئت دولاً قوية وحكمت لعقود طويلة من الزمن.